

المناجاة في القرآن الكريم

سورة إبراهيم أنموذجاً

م.د. أسعد مكي داود

d.asaad.1967@gmail.com

وزارة التربية - الكلية التربوية المفتوحة

الملخص:-

للدعاء والمناجاة أهمية كبيرة في حياة الإنسان عموماً، وعند الأنبياء (ع) خصوصاً، فذا سيدنا إبراهيم (ع) كان كثير الدعاء والتضرع كما يذكر النص القرآني، فأدعيته ومناجاته تُطرز الكثير من النصوص والآيات القرآنية في سورٍ شتى نجد فيها أدب الطلب وسمو الخلق النبوي حين الالتجاء الى ساحه الربوبية والتذلل والخشوع فيها.

ومن بين الصور القرآنية التي صوّرت ونقلت المناجاة الإبراهيمية سوره سميت باسمه (ع) إذ جاءت المناجاة فيها متسلسلة الواحدة تلو الأخرى بسبع مناجاة من الآية (35 - 41) ركز فيها (ع) على قضية جعل مكة بلداً آمناً مسكوناً بعد أن أسكن أهله فيها؛ لتكون قاعدة للهداية الإلهية ومركز إشعاعاً للرسالة السماوية المحمدية الخاتمة فيما بعد.

ووفق عدد المناجاة جاء تقسيم البحث إلى أقسام سبعة، عمد كل قسم منها إلى دراسة وتحليل كل مناجاة بشكلٍ منفصل للوقوف على أسرار وبلاغة ولطف وأدب إبراهيم عليه السلام حين يعرض للطلب من الذات الإلهية، وكيف يخاطب هذا سمو الغيبي اللامتناهي، ثم ختم البحث باستعراض أهم النتائج التي توصل اليها.

فالإنسان محدود الطاقة والامكانية محتاج غير قادر على صنع أو خلق أو جعل ما لا يستطيع فعله دون تدخل العناية الإلهية لذلك نجده يلتجأ إلى الله جل وعلا عند تعسر تحقيق ما لا قابليه له على تحقيقه، كذلك للوقوف على الأدب الرفيع والخلق الكريم والسّمْتُ العالي والواضح الذي طُبِع فيه سلوك إبراهيم (ع) وهو يناجي ربه.

الكلمات المفتاحية: المناجاة، الدعاء، سورة إبراهيم، خطاب الأنبياء.

Supplication in the Holy Quran Surah Ibrahim as a Model

Dr. Asaad Makki Dawood

d.asaad.1967@gmail.com

Ministry of Education – Open Educational College

Abstract:-

Supplication and prayer hold great importance in human life in general, and especially for the prophets (peace be upon them). Our master Abraham (peace be upon him) was known for his frequent supplication and prayer, as the Quranic text mentions. His supplications and prayers adorn many Quranic verses and chapters, revealing the etiquette of seeking and the sublime character of the Prophet when turning to the Divine Presence with humility and reverence.

Among the Quranic verses that depict and convey Abraham's supplications is a chapter named after him (peace be upon him). In this chapter, seven supplications appear sequentially, from verses 35 to 41, focusing on the matter of making Mecca a safe and inhabited city after settling his people there. This was intended to make it a base for divine guidance and a center for the dissemination of the final, heavenly message of Muhammad (peace be upon him).

Based on the number of supplications, the research was divided into seven sections. Each section studied and analyzed each supplication separately to uncover the secrets, eloquence, gentleness, and refined manners of Abraham (peace be upon him) when he addressed his supplications to the Divine Being, and how he addressed this infinite, transcendent realm. The research concluded by reviewing the most important findings.

Human beings are limited in power and ability, needy and incapable of creating or bringing into existence what they cannot do without divine intervention. Therefore, we find them turning to God Almighty when they are unable to achieve what is beyond their capacity. This also allows us to appreciate the refined manners, noble character, and lofty and clear demeanor that characterized Abraham's (peace be upon him) conduct as he supplicated to his Lord.

Keywords: *Supplication, prayer, Surah Ibrahim, the speech of the prophets.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا لا يُعرفُ أوله، ولا يُدركُ آخره، أحمده وأشكره وأتوكلُ عليه، والصلاة والسلام على محمّد وآله الهداة الميامين وأصحابه المنتجبين حملة لواء الحق إلى يوم الدين.

أمّا بعد..

يحتلُّ الدعاءُ في جميع الشرائع السماويّة عامّة وفي شريعتنا الإسلاميّة خاصة مكانة كبيرة، فهو من أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله جل وعلا بعد العبادات المفروضة، وهو أيضًا من وسائل الوصول إلى طاعته تبارك وتعالى.

وما يدفع الإنسان إلى الدعاء هو حاجته إلى قوة غيبية تدعمه، يتق بها ويتوكل عليها في تحقيق رغباته وأموره التي يعجز عن تلبيتها وتحقيقها بذاته بعد استفاد جميع طاقاته وإمكاناته المحدودة؛ لذلك تجده يلجأ إلى هذه القوة بعد الشعور بالانكسار والاضطرار، فالدعاء بمعناه العام هو الالتجاء إلى الله تعالى عندما تتعسر الأمور فيصعب حلها، وهو أيضًا صلة بين العبد وربّه.

ومن هنا تكمن أهمية الدعاء في حياة الإنسان ومنهم الأنبياء (ع) فذا سيدنا إبراهيم (ع) كان كثير الدعاء والتضرع كما يذكر النص القرآني، فأدعيته وضراعاته ومناجاته تُطرز الكثير من النصوص والآيات القرآنية في سورٍ شتّى نجد فيها أدب الطلب وسمو الخلق النبوي حين الالتجاء إلى ساحة الربوبية والتذلل والخشوع فيها.

ومن بين الصور القرآنية التي صوّرت ونقلت المناجاة الإبراهيمية سوره سميت باسمه (ع) إذ جاءت المناجاة فيها متسلسلة الواحدة تلو الأخرى بسبع مناجاة من الآية (35 - 41) ركّز

فيها (ع) على قضية جعل مكة بلدًا آمنًا مسكونًا بعد أن أسكن أهله فيها؛ لتكون قاعدة للهداية الإلهية ومركز إشعاعًا للرسالة السماوية المحمدية الخاتمة فيما بعد.

ووفق عدد المناجاة جاء تقسيم البحث إلى أقسام سبعة، عمد كل قسم منها إلى دراسة وتحليل كل مناجاة بشكل منفصل للوقوف على أسرار وبلاغة ولطف وأدب إبراهيم عليه السلام حين يعرض للطلب من الذات الإلهية، وكيف يخاطب هذا السمو الغيبي اللامتناهي، ثم ختم البحث باستعراض أهم النتائج التي توصل إليها.

ختامًا أراد الباحث أن يسلط الضوء بواسطة هذه المناجاة والأدعية على محدودية قدرة الإنسان وقابليته أمام الذات الإلهية المقدسة، وإن كان هذا الفرد من الصفوة البشرية المختارة والمقربة لله تعالى مثل خليله (ع) إلا أنه يبقى بشرا محدود الطاقة والامكانية محتاج غير قادر على صنع أو خلق أو جعل ما لا يستطيع فعله دون تدخل العناية الإلهية لذلك نجده يلتجأ إلى الله جل وعلا عند تعسر تحقيق ما لا قابلية له على تحقيقه، كذلك للوقوف على الأدب الرفيع والخلق الكريم والسَّمْتُ العالي والواضح الذي طُبِعَ فيه سلوك إبراهيم (ع) وهو يناجي ربه.

مفهوم الدعاء :

تعددت الطرق والوسائل التي يستعملها الإنسان في التعبير عن حاجاته ومتطلباته وما يبغيه أو يريده، لكن تبقى اللغة والمفردة هي الوسيلة الوحيدة التي تُعبّر عمّا يدور في خلجات نفسه وما يختزن في داخلها من لواعج وأفكار وشعور وأحاسيس يريد أن يبثها إلى المتلقي، فاللغة والكلام الوسيلة الحصرية التي يستطيع بواسطتها المرسل أن يوصل رسالته إلى من يريد.

ومن الوسائل اللغوية التي يتخذها الإنسان سببا لتحقيق ما يصبو ويطمح إليه هي الدعاء.

والدعاء كما يرى الكثير من العلماء والمفسرين بل وحتى الفلاسفة والمناطقة إنما يكون فيما خرج عن دائرة قدرة البشر، بعبارة أخرى أنّ الدعاء يصدر عند الاضطرار وبعد بذل كل الجهود

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

والطاقات، ثم يتضح بعدها عجز الإنسان في تهيئة الأسباب لتحقيق ما يبغيه من طلب ذلك لعجز متأصل في قدرته الذاتية لذا فإنه يتجه إلى مَنْ قدرته لا متناهية وتهون عنده كلّ الأسباب والأمور في تحقيق كلّ أمر، وفي هذا الأمر يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي ((عندما يضطر الإنسان إلى الله تعالى اضطرارًا ليس له من أن يستجيب الله تعالى لحاجته بُدًّا، ونعني بالاضطرار أن يفقد الإنسان كلّ الخيارات الأخرى ولا يبقى له غير خيار واحد ويكون أمر ذلك الخيار بيد الله تعالى وليس بيده))⁽¹⁾.

لذلك يحتلّ الدعاء مقامًا عظيمًا فهو من أفضل العبادات وأحسن وسائل التقرب والوصول إلى طاعه الله تبارك وتعالى، كذلك هو مظهر من مظاهر حسن الطاعة والإقرار بالعبودية لذا نجد في المأثور عن الرسول (ص) وأهل بيته الأطهار (ع) أحاديث عدة تؤكد على أهمية الدعاء واللجوء إليه في طلب الحاجات أو عند تعسرها بل والتأكيد على الإكثار منه والإلحاح فيه وفي جميع الأحوال والمناسبات المختلفة، ومنها قوله (ص): ((ليس شيئًا أكرم على الله من الدعاء))⁽²⁾ وقوله أيضًا ((أفضل العبادات الدعاء))⁽³⁾، وعن أمير المؤمنين علي (ع) قوله: ((أحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض الدعاء))⁽⁴⁾.

ومن هنا نجد أنّ الحثّ على الدعاء والإكثار منه والإلحاح بطلبه واضحًا بيّنًا في رواياتهم (ع)، فالدعاء يمثل أداة مهمة في شدّ العبد إلى خالقه، إضافة إلى ما يحقّقه من مكاسب في قضاء الحاجات وتيسير الأمور وشؤون الحياة، مع الأهمية الكبرى التي يُقدّمها في الجانب النفسي لدى الفرد مع خالقه.

¹ الدعاء عند أهل البيت (ع)، الشيخ محمّد الآصفي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ثم المقدّسة، ط3، 1426هـ، ص: 11.

² بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت، 93 / 300.

³ وسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1404هـ، 4 / 1089.

⁴ المصدر نفسه، 4 / 1089.

توطئة في مفهوم الدعاء والمناجاة في اللغة والاصطلاح:

يتبادر إلى اذهان الكثيرين أنَّ المناجاة تدلُّ على ذات المعنى للدعاء يعني المناجاة هي الدعاء، والدعاء هو المناجاة. لا فرق دلالي بينهما، وهذا لا يمت للصواب من جانب، فكلاهما له دلالة مستقلة بذاته عن الآخر صحيح أنَّهما يخرجان للطلب والحاجة والفاقة، كذلك يصاحبهما الكثير من التذلل والخشوع والخضوع لكن الدرجة في إظهار هذا الموقف من التذلل والانكسار تختلف بينهما أيضًا.

الدعاء في اللغة: أصله من (دعا يدعو دعاءً) بمعنى الدعاء والتوجه إلى الله بالطلب والحاجة وهو على ثلاثة أوجه؛ الأول: هو التوحيد والثناء عليه جل وعلا لقولك ((يا الله لا اله إلا أنت))، وقولك: ((ربنا لك الحمد))، فإذا قلته فقد دعوته بقولك: ((ربنا)) ثم أتيت بالثناء والتوحيد، ومنه قوله تعالى: ((ادعوني استجب لكم)) (غافر: ٦٠)، أمَّا الوجه الثاني: السؤال إلى الله بالعفو والرحمة وما يُقرب منه سبحانه وتعالى، بقولك: ((اللهم اغفر لنا))، والوجه الثالث: السؤال بالحرص من الدنيا، كقولك: ((اللهم ارزقني مالاً وولدًا))، وهذه الأوجه جميعها إنَّما سميت دعاء؛ لأنَّ الإنسان يَصْدُرُ عنه في هذه بقوله: ((يا الله، يا رب، يا رحمن...))^(١).

والدعاء اصطلاحاً: هو ((نوع من التوعية وإيقاظ القلب والعقل، وارتباط داخلي بمبدأ كلِّ لطف وإحسان))^(٢)، وهو أيضا في أبسط تعريفاته الاصطلاحية ((أن يطلب العبد حاجاته من الله سبحانه وتعالى))^(٣)، أو ((مواجهة الحق تعالى بلسان الحياء))^(٤).

^١ يُنظر: لسان العرب، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997م، 2/ 390.

^٢ أصول الكافي، ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ن: 328هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2005: 563.

^٣ الدعاء عند أهل البيت (ع): 9.

^٤ مصطلحات قرآنية، الدكتور صالح عزيمة، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010: 177.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجاً)

أما المناجاة في اللغة: هي النجوى من (ناجى: نجاءً) ومنه قولنا: ((ناجا الرجل مناجاةً))، أي سآرَهُ بِسِرِّهِ، وأيضاً قولنا: ((انتجى القوم وتناجوا)) أي تساروا، فالنجوى والنجي بمعنى المتسارون المتناجون، وفلان نجى فلان، أي نأجيه دون سواه، وبهذا تكون النجوى أو المناجاة بمعنى ما ينفرد به الجماعة والاثنتان من الكلام سرّاً كان أو ظاهراً⁽¹⁾.

أما المناجاة اصطلاحاً: فهي ((مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار للملك الجبار))⁽²⁾ وهناك من يراها أنّها ((تعبير عن أعمق مشاعر الشخصية وأفكارها الدفينة في النفس الإنسانية))⁽³⁾، أو هي أيضاً محادثة الإنسان بما في قلبه سرّاً حيث لا يطلع عليها إلا مَنْ يوثق به. ومناجاة الله يعني دعاؤه سرّاً في الخلوة. وهناك مَنْ يذهب بأنّها محادثة سرية أو خاصة بين شخصين أو أكثر أو بين شخص ونفسه للتعبير والتنفيس عن المشاعر الداخلية، أو وسيلة تهدف للتعبير عن تدفق الأفكار⁽⁴⁾.

إذاً المناجاة لا تكون من العبد إلاّ بشروط وهي أن يخلص العبد في عبادته، وقد أفرغ قلبه من الظنون والخواطر، وانقطع عن الأشباه والأغيار، ولم يعد بينه وبين خالقه واسطة ولا سبب⁽⁵⁾. وهنا يتبين أنّ المناجاة أعم وأشمل من الدعاء من حيث تعني الخلوة مع الدعاء وقراءة القرآن والتأمل والحديث مع سبحانه وتعالى، على حين أنّ الدعاء هو مجرد طلب الحاجه منه جل وعلا.

¹ يُنظر: لسان العرب: 6/ 149-150.

² اللمع/ أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، (ت: 378هـ)، ضبطه وصححه: كامل مصطفى الهداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 2016: 1/ 426.

³ معجم مصطلحات الأدب، د. محمود علي مكّي، الأستاذ فاروقشوشة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، 2007م، 161.

⁴ يُنظر: معجم المصطلحات الأدبية، بول آرون -دينيس سانجك - آلان فيالا، ارجمة: د محمد محمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012: 1110.

⁵ يُنظر: مصطلحات قرآنية: 174.

النجوى الأولى

قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)

(35) [إبراهيم : 35]

تتحدث الآية القرآنية على لسان إبراهيم في بداية دعائه بأن يجعل الله مكة وما حولها بلدًا آمنًا، ودعائه هذا (ع) الذي بداه بالتوسل بالقول (رب اجعل) استعمال الاسم (رب) الذي يخرج للدعاء مقترنًا بفعل الأمر (اجعل) الذي يأتي لغرض الدعاء أيضًا كما يراه النحاة⁽¹⁾.

فبهذين الاستعمالين اللغويين المقترنين معًا نراه يؤكد قضية التوسل والتضرع والأدب الشديد في بداية مناجاته، ثم أننا نلاحظ أنه قد ابتدأ دعائه بقول (رب) وقد خلا أولًا من حرف النداء (يا) الذي كثيرًا ما يستعمل في الدعاء، كذلك لم يضيف إلى هذا اللفظ ضمير المتكلم حرف (الياء) أي لم يبدأ الدعاء بالقول (يا ربي) فرفع حرف النداء (يا)، كذلك حذف ضمير المتكلم (يا) فقال (رب)، وفي هذا يرى المفسرون أنّ هذا الحذف جاء لأسباب عدة منها، إنّما حذف حرف لما كان أصله تنبيه المنادى ليُثْبَلِ عليك؛ والله سبحانه وتعالى ليس منصرفًا ولا غافلاً ولا يحتاج إلى مَنْ يُلْفِتَ نظره ولا يغيب عنه شيء تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، إنّما هو موجود حاضر يسمع ويرى حال ومناجاة ودعاء جميع خلقه⁽²⁾. أليس القائل في كتابه الكريم: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ)). (البقرة: 186).

كذلك حذف حرف النداء والاستغناء عنه لاستشعار المنادى بأنّ المنادى مُقْبَلًا عليه سامعًا له؛ وهذا بلحاظ أنّ المنادى وهو إبراهيم (ع) مِمَّنْ يُلْتَقَتُ إليه وَيُسْمَعُ منه لمكانته وعلو مقامه

¹ يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، كمال الملك للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ط1، 2004م: 4 / 159.

² يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: 460هـ)، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، ط1، 2013م: 6 / 172.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

عند الله فهو نبيه ورسوله وخليله⁽¹⁾.

وأما حذف ضمير المتكلم الحرف (ياء) من آخر اللفظ (ربّ) هو حذف ما يدلّ على ذاته (ع)؛ الذات المتكلمة والمخاطبة والمناجية فيكتفي بذكر الاسم الكريم الصريح مُجرّدًا من الضمير فيقول (ربّ) بالكسر بدلًا من قوله (ربي) واستعماله (ع) هذا الأسلوب في التعبير له دلالة معنوية وروحية كبيرة إذ لا يخفى ما في هذا الأسلوب من إيحاء دلالي على نوبان الذات الداعية في الذات المدعوة؛ فلا ينظر لذاته ولا لنفسه وجودًا وهو يقف بين يدي ربّه يدعوه ويناجيه، لذلك هو لا يرى غير ذات واحدة فقط حين ذابت في الذات الحقيقية وهي ذات الباري عزّ وجل، فلم يبق أمامه إلا أن يقول (ربّ) دون أن يدلّل على نفسه وذاته بحرف (الياء)؛ لعدم صدق الوجود عليها⁽²⁾.

وعند استئنافه الدعاء بقوله (ربّ اجعل هذا البلد آمنًا) نلاحظ أنّ هذا القول قد تكرر مرة ثانية، ففي نصّ قرآني آخر نجده قد دعا لهذا البلد أيضًا في قوله تعالى من سورة البقرة ((وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر)) فيجد العلماء والمفسرون أنّ هناك فرقًا بين معنى ودلالة القولين الكريمين، فالقول الكريم في سورة إبراهيم (رب اجعل هذا البلد آمنًا) قد جاء لفظ (البلد) محلّى بالألف واللام فقال (هذا البلد) على حين أن القول الكريم الثاني في سورة البقرة (رب اجعل هذا بلدًا آمنًا) من غير (أل التعريف)، والفرق الدلالي هنا كما يراه أرباب التفسير هو أنّ القول الكريم الأوّل إنّما جاء بالتعريف؛ لأنّه دعا بهذا الدعاء بعد بناء البيت الحرام بفترة زمنية طويلة وبعد أن أصبحت مكة بلدًا مسكونًا إذ كانت تسكنه قبيله جرهم كما تذكر المصادر برفقة إسماعيل وهاجر،

¹ يُنظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، علي خان المدني الشيرازي، تحقيق: السيد محسن الحسيني الآميني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط4، 1415هـ: 4/ 523.

² يُنظر: السمات الدلالية في أدعية نبي الله إبراهيم الخليل (ع)، الشيخ علي العبادي، بحث منشور في الموقع الشامل للحوزة العلمية، 4 مايو، 2019م، 2- 4.

ودليله قوله في نهاية هذه النجوى (واجنبني وبنّي أن نعبد الأصنام) فقوله (بنّي) يدلُّ على أنَّ إسماعيل وإسحاق كانا قد ولدا لإبراهيم ومن المعلوم والمتعارف عليه أيضًا أنَّ إسماعيل أكبر من إسحاق قرابة الثلاث عشرة سنة ثم أنَّ إبراهيم أسكن إسماعيل وهاجر أمه البلد الحرام - مكة المكرمة - وهو طفل صغير ما يعني أن هذه المناجاة في سورة إبراهيم المُعرّفة ب(ال التعريف) قد جاءت متأخرة بعد بناء الكعبة المشرفة⁽¹⁾، على حين أنَّ القول الكريم الثاني الذي جاء بالتركيز في سورة البقرة كان قبل أن تكون مكة بلدًا، وقبل بناء البيت الحرام وقبل أن يكون الوادي مسكونًا، يعني أنَّه أوَّل ما ذهب بأذنه إسماعيل وهو رضيع مع امه هاجر إلى هذا الوادي الذي لا زرع فيه ولا شيء من مظاهر الحياة، لذلك نجده يتضرع ويدعو دعوه أخرى أن يرزق أهل هذا البلد الثمرات؛ لأنَّ النعمة لا تتم إلا بتوفير الأمن والرزق.

وحين يكمل إبراهيم(ع) نجواه في هذه الآية الكريمة بقوله (واجنبني وبنّي أن نعبد الأصنام) فهو يطلب ويتضرع للمعبود سبحانه وتعالى أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام؛ فبعد دعواه الأولى أن يجعل البيت الحرام آمنًا مستقرًا أن يتبعها بدعوة أخرى أن يُبعد عنه الشرك وعبادة الأصنام، إذن هو يستدرك(ع) الدعاء؛ ليركز على مفردة مهمة بشكل أسس الحياة الدينية والعبادية بل وحتى الحياتية إلا وهي موضوعة الإشراك والكفر فيقول متوسلاً متضرعًا لله جلَّ وعلا (واجنبني وبنّي أن نعبد الأصنام) فاستعمل فعل الأمر (اجنب) مُضافًا إليه الضمير (ياء) المتكلم، وهذا الفعل قد خرج لغرض الدعاء أيضًا⁽²⁾، إذ سأل في دعائه هذا أن يبعده الله تعالى عن جانب الشر بالطف من أسباب خفية، كذلك الثبات والبقاء في طريق التوحيد وفي قوله (ونبّي) جاء هذا اللف معطوفًا على قوله (واجنبني) أي أنَّ الدعاء شاملًا لنفسه وبنيه.

¹ يُنظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي المعروف بابن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط3، 1444هـ، 4/ 626.

² يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: 4/ 159.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

ولربّ سائلٍ يسألُ الله من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى يثبت الأنبياء ويعصمهم من عبادة الأصنام، فما الفائدة من الدعاء بهذا القول؟

وهنا يرى الإمام الرازي أنّ هذا السؤال الذي جاء على لسان إبراهيم(ع) أنّه ((وإن كان يعلم أنّ الله تعالى يعصمه من عباده الأصنام، إلّا أنّه ذكر ذلك هضمًا للنفس وإظهارًا للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كلّ المطالب))⁽¹⁾.

وهذا الرأي بذاته يظهر لنا جليًا تأدب إبراهيم في طلبه ودعواه ومناجاته بأن يجنبه عبادة الأوثان والأصنام مع علمه المسبق بأن الله قد عصمه من هذا الأمر، ولكن إبراهيم في إظهاره النقص والحاجة والفاقة لله فيه كثير من التأدب والتواضع والنوابان في الذات الإلهية التي أظهر أمامها عجزه وفاقته.

ويذهب محمّد جواد مغنیه في تفسير هذا القول الكريم (واجنبني وبنی أن نعبد الأصنام)، أنّه كيف لإبراهيم أن يقول هذا القول وهو بنفسه قد حطّم الأصنام بيده من قبل فمحال أن يعيدها فيما بعد، إلّا أنّه (ع) يرى أنّ رسل الله وأنبيائه على عصمتهم فإنّهم يخافون المعصية؛ وهذا الخوف بحدّ ذاته من أعظم الطاعات وأعلّاه شأنًا، إذ من يرى في نفسه تقيا نقيًا فقد فتح النوافذ فيها للشيطان⁽²⁾.

وأما قضية ربط إبراهيم (ع) لموضوعة (الأمن) التي هي نعمة ماسة للإنسان عظيمة الواقع في حسه وكيانه وروحه ومتعلقه بحرصه على نفسه وذاته والخوف عليها بموضوع الشرك والكفر بدعوته ومناجاته في ذات النص القرآني والتي سلّم فيها تسليمًا مطلقًا إلى ربه فالتجأ

¹ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الإمام فخر الدين الرازي (ت: 604هـ)، تحقيق: عماد زكي البارودي، منشورات المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ط، د.ت: 109 / 19.

² يُنظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنیه، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط3، 2005:

إليه في إشخاص مشاعر قلبه وروحه ليدعوه متوسلاً أن يجنبه عبادة الأصنام هو وبنيه يستعينه بهذا الدعاء ويستهديه ليخرجه من ظلمات الشرق وجهالاته إلى نور الإيمان بالله وتوحيده فيخرج بذلك من التيه والحيرة والضلال إلى المعرفة والطمأنينة والاستقرار⁽¹⁾.

مما تقدّم يتبيّن واضحاً مدى قلق إبراهيم وتفكيره الدائم في موضوعة التوحيد ضد الشرك والكفر؛ إذ نراه وبوساطة مناجاته هذه يقرئ الموضوع آمن البلد مكة المكرمة ولأهميته الكبيرة عنده بعد ما أسكن فيها ابنه وزوجه بموضوع الشرك وعبادة الأصنام فهو يراهما موضوعان غاية في الأهمية، إذ يشكّلان يوسف الحياه الهانئة الرغيدة فلا أمان في بلد من غير توحيد وأمان داخليين وإيمان روحي إذ لا غنى لأحدهما عن الآخر وجاء الدعاءان مقترنان بنص قرآني واحد.

النجوى الثانية :

قوله تعالى (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (36)) [إبراهيم : 36]

في النجوى الثانية نجد إبراهيم (ع) قد بدأها ثانية بقوله: (رَبِّ) : وهذا الاستعمال اللغوي المتكرّر في المناجاة هو تكرار لإظهار العبودية والخضوع الكلي لله عزّ وجلّ وهذا نوع من الأدب البارع الذي يقيم نفسه وحاله مقام الفقر والحاجة الكلية لله جل وعلا، فلا ينظر لنفسه ولا يلتفت لها شيئاً في مقابل الذات الإلهية المقدسة والتي يعول عليها في كلّ شيء وهذا من الادب العالي ان يبتدأ بهذا اللفظ رب في بداية الآيتين الكريميتين.

كذلك نراه قد ركّز ثانية على موضوعة العبادة والإيمان وضدهما الشرك والكفر، ففي بداية النجوى نجده يقول (رب إنهنّ أضللن كثيراً من الناس) وضمير القول في (إنهنّ أضللن) يعود

¹ يُنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط34، 2004م،:

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

إلى الأصنام التي ورد ذكرها في الآية السابقة وما تأكيده على هذا الموضوع الضلال والشرك إلا لعلمه المسبق أنّ كثيرًا من الناس يتبعون أهوائهم ويضلون عن سبيل الحق والرشاد لذلك يتضرّع ع بقوله (ربّ) متوسلاً داعياً لله عزّ وجلّ أن يجنب الناس إبتاع الهوى والغى والابتعاد عن طريق الحق والإيمان ثم أنّه يعلم حجم البلاء الكبير الكامن في عبادة الأصنام ويعلم أيضًا كثرة من ذهبوا ضحية هذا الطريق فأى ضلال أكبر من هذا الضلال الذي يفقد الإنسان فيه حتّى عقله وحكمته⁽¹⁾.

ومن دعائه هذا (ع) نلاحظ أنّه قد فرّق بين طائفتين من الناس طائفة المؤمنين (فمن تبغني فإنّه مني) وطائفة المشركين المضللين (ومن عصاني) فدلالة قوله (فمن تبغني فإنّه مني) يعني تبغني في ديني واعتقادي فإنه مني جار مجرى بعضي لفرط اختصاصه بي وقربه مني، إذ يلتقي معي في الأسرة الكبرى أسرة التوحيد والعقيدة والإيمان ومصداق هذا القول قوله تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه)[آل عمران: 68]، ويذهب جمع من المفسرين في قوله (فمن تبغني فإنه مني)⁽²⁾، أنّه يشمل جميع الموحدين والمجاهدين في طريق التوحيد ويؤيد هذا الرأي ما ورد عن الإمام علي إذ قال: (نحن آل إبراهيم أفترغبون عن ملة إبراهيم) وقد قال: (فمن تبغني فإنه مني).

وكذلك ما ورد عن الإمام الباقر قوله: (من احبنا فهو منا أهل البيت، فقيل له: منكم؟ قال: منا والله، ثم قال: أما سمعتم قول إبراهيم في تبغني فإنه مني) ⁽³⁾.

من هذين الحديثين يتضح جليا صيرورة الفرد معنويًا واتباعه لمن سار على خطه واتباع منهجهم ويتضح أيضًا مدى حب وتلطف وتحنن إبراهيم لاتباعه وأنصاره ومؤيديه ومريديه ومن سار

¹ يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2005: 261 / 7.

² يُنظر: المصدر نفسه: 263 / 7.

³ يُنظر: نور الثقلين/ الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001: 491 / 3.

على خطه ومنهجه حتى في القرون اللاحقة التي ستاتي أجياله فيما بعد فهو يدعو ويتضرّع لهم ويجعلهم من أتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما قوله (ومن عصاني) أي خرج من ديني وملتي واعتقادي وهنا نجده لشدة لطفه وتأدبه وتحننه ورحمته يطلب الشفاعة والمغفرة والرحمة لأولئك العصاة الضالين بقوله: (ومن عصاني فانك غفور رحيم)⁽¹⁾.

ثم إننا إذا دققنا النظر في تعبير إبراهيم (ع) المؤدب والعطوف والحنون هذا في قوله (ومن عصاني فانك غفور رحيم) نجده لم يقل: (ومن عصاني فإنه ليس مني) أي لم يتبرأ منهم ويتركهم البتة بل وكل أمرهم لربّ غفور رحيم.

ونلاحظ هنا أيضا أنه (ع) قد دقق في دعائه لهم باختيار أحن وأروع صفتين رحيمتين كريمتين لله سبحانه وتعالى في طلب العفو والرضوان لمن عصى أمره واتخذ سبيل الضلال والبعد عن الحق ذلك بقوله: (فانك غفور رحيم).

أي أنه في هذه المناجاة أردف كل حاجة طلبها أو ذكرها بما يناسب مضمونها من أسماء الله الحسنى فعند حديثه عن المعصية بقوله: (ومن عصاني) ذكر في مقابلها غفران الله ورحمته مناجيا له سبحانه وتعالى العفو والمغفرة لهم⁽²⁾.

أنه دعاء لا يخلو عن إيماء ما إلى الطلب لمن ترك طريقته وسيرته بالشمول بالرحمة والمغفرة وإن لم يكن مقتضيا لهما⁽³⁾.

¹ يُنظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): 110 / 19.

² يُنظر: القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، أعداد حسين فعّال، دار الرسول الأكرم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 326.

³ يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، د.ط، د.ت، 72 / 13.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

يتضح لنا جلياً تلتطف إبراهيم (ع) وأدبه العالي في دعائه بقوله (ومن عصاني فإنك غفور رحيم) إذ تبدو لنا السمة العظيمة والروحية الكبيرة التي لا تعرف الحقد ولا الكره ولا الانتقام ممن صده عن دعوته وعدَّبه وحرقه بل تبدو في مقابل كل ذلك سمة الأدب العطوف الرحيم والكريم الحلیم إذ لا يطلب الهلاك والعذاب لمن يعصيه ويحيد عن طريقه طريق الحق وجادة الصواب بل ولا يستعجل لهم العذاب ولا يذكره مطلقاً إنما يكل أمرهم لغفران الله ورحمته فيلبي في مناجاته هذه وضلال المغفرة والرحمة التي تتوارى تحت ظلالها المعصية التي لا يكشف عنها ع مطلقاً⁽¹⁾.

النجوى الثالثة

قوله تعالى (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)) [إبراهيم: 37].

يتحدث النص القرآني أنه لما جاء إبراهيم (ع) بابنه إسماعيل وزوجه هاجر إلى مكة المكرمة وكانت وقتها بلد غير مسكون وواد غير ذي زرع وأسكنهم هذا الموطن الجديد يطلب من رب العزة ذلك ليكون هذا البلد فيما بعد أول قبلة للناس كي يقيموا الصلاة وفروض الطاعة والعبادات الأخرى فيها ثم لتكون ملجأ ومطلباً لهم وهذا ما وضع جلياً بوساطة دعاء إبراهيم الذي بدأه بمناجاته بلفظ ربنا فإضافة (ع) الضمير (نا) إلى الاسم رب وفي هذه الاضافة للعلماء قولان:

أولهما: إن إضافة هذا الضمير والذي جاء بصيغه الجمع انما هو لتعظيم شأن المدعو والرفع من مقامه وعلو قدره وشانه فخطب بضمير الجمع (نا) فجاء الدعاء بلفظ (ربنا).

وثانيهما: انما جاء اللفظ والدعاء بصيغه الجمع للدلالة على أن الله هو ربهم جميعاً وليس

¹ يُنظر: في ظلال القرآن: 4 / 2109.

ربه هو فقط، وهو يشير هنا إلى ابنه وزوجه اللذين اشركهما معه في دعائه ومناجاته⁽¹⁾.

وفي قوله تعالى على لسان إبراهيم (ع) (إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) فقوله: (من ذريتي) أي من بعض ذريتي ف (من) هنا جاءت للتبويض أي بعض ذريتي والمقصود هنا اسماعيل وذريته من بعده، فيخرج بهذا القول ذريته الأخرى من نبي الله إسحاق (ع) الذي سكن أرض كنعان وما حولها من بلاد فلسطين الحالية.

وأما قوله: (بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم) فهذه إشارة واضحة إلى أول دخول له لأرض مكة والتي كانت غير مزروعة ولا معمورة ولا مسكونة بل هي عبارة عن مجموعة من الجبال الجرداء اليابسة ليس فيها سوى أسس بيت الله الحرام التي أشار إليها بقوله: (عند بيتك المحرم)⁽²⁾.

ثم أننا نلاحظ أن لفظ (ربنا) قد تكرّر في هذا النص بالذات مرتين مرة في بدايته وأخرى في وسطه، وهذا التكرار يضيف معنى جديد يفهم بوساطة السياق الذي جاء فيه فسياق الآية يتحدث عن الدعاء والمناجاة فاستعمل إبراهيم لفظ (ربنا) أولاً ليؤكد خشوعه وخضوعه وتذللته في مقابل الذات الإلهية المقدسة ثم أنه ليؤكد ثانياً على طلبه والحاحه فيه والذي يخرج من النفس الحنونة والحانية على أهلها فيكرّر دعائه خوفاً ورفقاً بأهله الذين سيتركهم ويرحل عنهم فتكرار اللفظ يضيف معنى جديد للنص يفهم من سياق الحديث ويفهم أيضاً من طريقة أدائه وقد يفهم ثالثاً من مقتضى المقام والحال الذي يأتي فيه وهو لا يخلو من فائدة نفسية أو اجتماعية أو تربوية⁽³⁾.

¹ يُنظر: التحرير والتنوير، الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، ط1، د.ت: 262 / 12

² يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 262 / 7.

³ يُنظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبدالله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق،

ط2، 2007، 362.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

ثم أنّ كثرة تكرار اللفظ أمر يوَلِّد تيارًا فكريا وعاطفيا؛ إذ لا يكفي لتحول الانفعال إلى عاطفة واضحة أن يذكر اللفظ مرة واحدة بل لا بدّ لحصول ذلك أن يتكرَّر قوله أو حدوثه فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به وتركزه حوله إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيب العبارة ككل⁽¹⁾.

والتكرار في اللغة والحديث والدعاء موائم للظفرة الانسانية إذ أنّ له وظيفة مزدوجة الأداء لتوثيق المعنى كقيمة صوتية وفنية تزيد القلب له قبولًا والوجدان به تعلقًا إذ هو أسلوب التكرار التعبيري الذي يصور انفعال النفس البشرية بمثير فيكون اللفظ المكرَّر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة؛ لاتصاله الوثيق في الوجدان، فاللفظ المكرر هدفه الإثارة النفسية⁽²⁾.

وظاهره تكرار الألفاظ تأتي؛ لتعبر عن وجدان الإنسان في بعض حالاته المختلفة مثل الخوف أو مواقف الاعتذار أو المديح أو التطف والاستمالة والاستعطاف وهذا ما نجده واضحًا جليا في دعاء إبراهيم حين كرَّر استعمال لفظ (ربنا) في هذا النص القرآني ذلك للتطف للذات الالهية واستعطافها في أمر العناية بأهله ورعايته وحفظهم⁽³⁾.

ثم أنّ اقتران ضمير الجمع (نا) بالاسم (رب) جاء للدلالة على التعددية والمشاركة بدلالة قوله ليقموا الصلاة فقد حكاها بضمير الجمع الواو الذي اقترن بلفظ الفعل المضارع يقيم فقال: (ليقيموا). وهنا لا بدّ أن يأتي الدعاء أيضا بضمير الجمع والتعددية.

¹ يُنظر: لدوافع النفسية، مصطفى فهمي، مكتبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1987م: 101.

² يُنظر: التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1986م: 88.

³ يُنظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1971م: 10 / 1.

ونرى في قوله (ع): (ليقيموا الصلاة) إشارة إلى أنّ هذه الأرض الكريمة ستكون قاعدة عظيمه للعبادة ومكاناً مقدساً تستشع منه أنوار الهداية للعالمين بعد حين، ودليل هذا الرأي قوله (ليقيموا) فقد سبق الفعل يقيم وجاء مقترناً بـ (لا السببية) أو ما يسمى (لام التعليل) ودخول هذه اللام على الفعل المضارع يأتي لتوضيح وتبيين سبب حدوث الفعل وعلته وهنا تظهر علّة وسبب الإقامة أي ما أسكنتهم هذا الوادي الخلاء إلاّ ليقيم الصلاة عند بيتك المحرم ويعمره بذكرك وعبادتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على سائر البقاع ومتقربين إليك بالعكوف والطواف بهذا المقام المبارك ومستنزلين الرحمة التي أثرت بها سكان هذا الحرام المقدس⁽¹⁾. ثم عند استئنافه للدعاء بقوله (فاجعل) نجد أنّ (الفاء) قد اقترنت بالفعل اجعل والفاء هنا جاءت الاستئناف الكلام وأيضاً لاستئناف الدعاء والتوسل كذلك نجده يستعمل الفعل (اجعل) الذي يخرج للطلب والدعاء فهو بهذا القول والاستعمال اللغوي الرفيع يستعطف ويتضرع لربه الكريم أن لا يترك ابنه وزوجه غرباء في هذا المكان المقفر والصحراء القاحلة فيطلب منه عز وجل بخضوع وخشوع وادب عالي أن يحيطهم بالناس التي تؤنسهم وترفع وحشتهم فيقول: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) أي تريدهم أو تسرع إليهم أو تتحط وتتحدّر وتنزل إليهم كما يهوي الحجر من رأس الجبل إذا انحدر وانصبّ بسرعة⁽²⁾.

فالهوى هنا يدلّ على سرعة الحركة الخيرة ونشاطها وإبراهيم (ع) في دعائه وقوله هذا: (تهوي إليهم) يطلب ويرجو من الله ان تسرع إلى أهله أفئدة الناس وتحيطهم ليأنسوا ويستبشروا بها⁽³⁾.

¹ يُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت 538هـ)، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م: 2/ 537.

² يُنظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): 19 / 112 - 113.

³ يُنظر: دراسات فنية في القرآن الكريم، د. أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2006م، 172.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

ويرى الأخفش أنَّ معنى (تهوي) في هذا النص جاءت بمعنى تهواهم وتحبهم⁽¹⁾. على حين يرى الإمام فخر الدين الرازي أنَّ الدعاء بهذا القول (تهوي إليهم) قد خرج بشكل جامع للدين والدنيا. أما الدين فلأنه يدخل فيه ميل الناس إلى الذهاب إلى تلك البلدة مكة المكرمة؛ بسبب النسك والطاعة لله وأما للدنيا فلأنه يدخل فيه ميل الناس إلى نقل المعاشات إليهم بسبب التجارات فلأجل هذا الميل يتسع عيشهم⁽²⁾.

ويؤيد هذا القول السيد محمد حسين فضل الله في قوله الكريم (تهوي إليهم) أي تتجذب بعاطفتهم الروحية إلى هذا المكان وهذه الأرض لتكون قاعدة دينية وروحية بوساطة إقامة المناسك والشعائر العبادية إضافة إلى أنها ستكون قاعدة ثقافية وتجارية تدفع الناس للمجيء إليها؛ لطلب الرزق⁽³⁾. وبذلك يكون الفعل (تهوي إليهم) منصرف إلى المكان المقدس أولاً، ومن ثم ينصرف إلى أهل إبراهيم (ع).

وبعد كلِّ المعاناة والصبر والتحمل الذي أظهره إبراهيم في تحقيق إرادة الله جل وعلا في أن يسكن اهله في منطقته معزولة لا وجود للحياة فيها وهو على يقين أن الله سبحانه وتعالى سوف لن يتركهم لذلك نراه يدعو ويناجيه ويستعطفه ان يحيطهم بأسباب الحياة والعيش والبقاء فيدعو ويقول: (وارزقهم من الثمرات) وهنا تأتي يد الرحمة والرأفة الالهية فيشمل أهل إبراهيم بها بأن يجعل من مكة المكان الفقير والوادي غير ذي الزرع مكانًا مُنًا صالحًا للعيش خاصة بعد حادثة العطش التي تعرض لها ابنه وزوجه وتفجّر عين زمزم ولم يمض وقت حتى نزلت قبيلة

¹ يُنظر: معاني القرآن؛ أبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ) قدّم له وعلق عليه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، 233.

² يُنظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : 113 / 19.

³ يُنظر: من وحي القرآن: السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2007م: 120- 119 / 13.

جرهم وسكنت فيها فأصبحت مكة تأخذ طابع المدينة ويدل هذا القول إلى أنه لم يكن بمكة يومئذ أحد ولم يكن بها ماء⁽¹⁾.

ويرى محي الدين الدرويش في قوله (وارزقهم من الثمرات) أنّ الجملة الفعلية (ارزقهم) معطوفة على الجملة الفعلية التي سبقتها (اجعل) أي أنّ هذه الجملة خرجت لغرض الدعاء أيضا بمعنى أنّ فعل الأمر (ارزق) جاء للدعاء والتوسل فتكرير الدعاء والابتهال دليل التضرع واللوذ بالله تعالى⁽²⁾.

كما يرى سيد قطب أنّ الدعاء والتضرع في جملتي (فاجعل و ارزقهم) فيه الكثير من التعبير عن رقة القلب ورفرفته وحنوه على أهله ذلك أنّه الأب الرحيم المتأوه والمفجوع لكتفه في ذات الوقت وضع رجائه وأمله في الله تعالى بأن يجمع الناس حولهم ويجعلها تهوي إليهم من كل حدبٍ وصوب⁽³⁾.

النجوى الرابعة:

قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلُنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38)) [إبراهيم: 38]

في بداية هذه الآية الكريمة نرى أنّ إبراهيم (ع) كرّر الدعاء والمناجاة بذات اللفظ الذي بدأه في الآية الكريمة السابقة فابتدأها أيضا بالاسم (ربنا) المقترن بالضمير (نا) للدلالة على التعظيم والجمع كذلك وكما أسلفنا في تحليل النص السابق وهذا التكرار في المناجاة دليل على التضرع واللجوء المنقطع لله سبحانه وتعالى.

¹ يُنظر: سيدنا إبراهيم الخليل (ع) قراءة جديدة، عبد الرحمن غنيم، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 2016م: 22.

² يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، : 4 / 160.

³ يُنظر: في ظلال القرآن: 4 / 2110.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجاً)

والخطاب هنا بضمير الجمع إنما جاء ليعرض حاله وحال عائلته وما يجري عليهم من المصاعب والمشاق والتعب وألم الفراق الذي ألمَّ بهم فيضع جميع الأمور أمام الله سبحانه وتعالى بقوله: (إنَّك تعلم ما نخفي وما نعلن) أي ما سؤالي وطلبي إليك إلا تضرعاً وخشوعاً لك واعترافاً منا بأنك الخالق الرازق أما حاجتنا ومصالحنا ومطالبنا فأنت أعلم بها منا سواء سألناها منك أم لم نسأل أو أعلنها أم لم نعلن فلا يحتجب عن علمك شيء وأنت علام الغيوب واعلم منا بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا وأنصح لنا من أنفسنا فلا حاجة لنا إلى الدعاء والطلب، وإنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك وتخشعاً لعظمتك وتذلاً لعزتك وافتقاراً لما عندك⁽¹⁾.

ورأى بعض المفسرين أنَّ قوله (ع) (ما نخفي) أي ما نخفي من ألم الوجد وكآبة الافتراق لما وقع بيننا من الفرقة ومن الحزن المتمكن في القلب. وأما قوله: (ما نعلن) أي ما نظهر من البكاء وما نكثر من الدعاء⁽²⁾.

يتبين لنا في قوله (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) أنَّ في هذا الخطاب الدعائي الكثير من الوجد والشفقة والتحنن المكبوت في داخل وجدان ونفس إبراهيم ع وخوفه على أهله إذ لا بد من تركهم في هذا البلد تلبية لأمر الله عز وجل إذ هو يتضرع بأسلوب تعبيرى مكبوت لكن يظهر من جنباته عمق القلق والتوتر عليهم مع أنَّه أطاع ربه ووكل أمر أهله للرحيم العطوف.

ومع هذا يتضح من قوله: إنه يعبر عمًا في داخل نفسه إذ إنَّ للبشر طرق في التعبير عمًا في نفوسهم؛ فمنهم من يعبر عنها صراحة، ومنهم من يومئ ويشير إشارات فقط، ومنهم من ترى ما في قلوبهم على وجوههم، وآخرين يظهرون ما تطوي نفوسهم بتعبير وخطاب لطيف ينبي ما تخفي نفوسهم وما تسر في باطنها من اللوعة والشجن⁽³⁾.

¹ يُنظر الكشاف: 2 / 538 - 539؛ ويُنظر: التفسير اكاشف: 4 / 453.

² يُنظر: الكشاف: 2 / 593.

³ يُنظر: أدب التخاطب، الشيخ أبو عبد الله مصطفى العدوي، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة

من هذا نفهم مدلول الخطاب الدعائي لإبراهيم (ع) في قوله: (إنك تعلم ما نخفي).

ونجد أيضا في هذا القول (إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) جمالية التكتيف، والتكتيف هو احتواء المفردة على المعاني الكثيرة أي تكتيف العبارة وتوسيع مساحة الإحساس الدلالي والمعنوي بها⁽¹⁾.
فالتكتيف هو اختصار في سبيل العمق وهو أيضا نوع من الاطناب المركز الذي يقصد باختصار الكلام أو عدم المباشرة في التعبير⁽²⁾.

إذًا في دعائه هذا ((دليل على اطلاع الله على السر والجهر الباطن والظاهر. وبتعبير آخر اطلاعه على النيات القلبية والأعمال الظاهرية))⁽³⁾ أي أنّ المعنى في هذا القول هو أنّ الإخفاء ما نخفي هو السر أي النيات القلبية التي لم يطلع عليها أحد سوى الله سبحانه وتعالى، وأمّا الإعلان ما نعلن هو الجهر وهي الأعمال والحالات الظاهرية التي تكتسب بالفعل والقول المُعلن.

وعند استدراكه (ع) لبقية مناجاته بقوله (وما يخفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) لم يأتِ هذا القول إلا إظهارا لعظمة الخالق وقدرته ومعرفته بكلّ ما يجري وما يخفي وما يُعلن فلا يعزب عن قدرته شيء جل وعلا وفي هذا القول يرى العلماء والمفسرون أنّ قول إبراهيم هذا جاء بيانًا لاستغراق عظمتها التي وسعت علم كلّ شيء سواء في الأرض أو السماء وحجتهم في ذلك قوله من شيء ف(من) جاءت هنا بمعنى الاستغراق أي الاستغراق في علم ملكوت كلّ شيء⁽⁴⁾ وجاءت أيضًا بمعنى الإحاطة الوجودية فهو سبحانه قد أحاط بكلّ شيء

العربية السعودية، ط1، 1999م: 150.

¹ يُنظر: دراسات فنية في القرآن الكريم: 494.

² يُنظر: الصورة والبناء الشعري، الدكتور محمد حسن عبدالله، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1981م، 128.

³ نفحات القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، قم، المقدسة، ط1، 2005م: 4/ 54.

⁴ يُنظر الكشاف: 2/ 539؛ وينظر: التفسير الكبير: 1389.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

علمًا وكلُّ شيء حاضر عنده أي أنّ الله جلّ وعلاً حاضر في كلّ نقطة من عالم الوجود ويعلم خفيات هذا العالم بأكمله سواء عالم الطبيعة أو عالم ما وراء الطبيعة⁽¹⁾.

ونرى بهذا القول إنّ هناك التفات رائعة جدًّا في أدب المناجاة والدعاء وهي أنّه أراد بوساطة هذا القول أن يتذلّل ويتضرع بشكل لطيف ورائع فيقول: إن قدرة الله جلّ وعلا التي أحاطت بكلّ شيء علمًا وبكلّ زاوية من زوايا الوجود معرفة وما تخفى عنه ذرة من الملك والملكوت فكيف تخفى عليها حاجاته الخفية والظاهرة منها وليس عندنا ما نخفيه عنها.

النجوى الخامسة:

قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39)) [إبراهيم: 39].

في بداية هذه الآية القرآنيّة الكريمة نجد أنّ إبراهيم (ع) قد انتقل من الدعاء والطلب المباشر إلى الحمد والشكر والثناء وبأسلوب عالٍ جدًّا من الأدب والتذلل والخشوع لا يقل عن أدب الدعاء والمناجاة بل أنّ هذا الشكر هو وجه من وجوه الطلب والدعاء والمناجاة والتذلل والخشوع لا يقل عن أدب الدعاء والمناجاة بل أنّ هذا الشكر هو وجه من وجوه الطلب والدعاء والمناجاة والتذلل وكما يقول الإمام زين العابدين في مناجاة الشاكرين ((كيف لي بتحصيل الشكر والشكر إياك يفتقر إلى شكر فكلمًا قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أنا أقول لك الحمد))⁽²⁾ ومن منطلق هذا الأسلوب - أسلوب الشكر - الذي جاء في سياق مناجاة الشاكرين نجد فيه الكثير من أسلوب الدعاء لقبول الشكر وفيه أيضًا من التذلل والخشوع والأدب في حضره الذات الإلهية المقدسة التي يظهرها الإمام زين العابدين (ع) لذلك نجد أنّ إبراهيم قد سبق في استعمال

¹ يُنظر: نفحات القرآن: 4/ 53 - 56.

² مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2004م:

الأسلوب ذاته ليعبر عن مكنونات روحه وخاطره وقلبه الشاكر لنعم الله عليه بأسلوب لا يختلف كثيرا عن أسلوب الدعاء والمناجاة فكلّ شكر عندهم يستوجب طلب الدعاء للشكر والثناء لسابقه.

ثم إنّ هذا الحمد قد جاء تأكيداً للطلب الذي سبقه إذ توسل (ع) في طلب الذرية بقوله: (رب هب لي من الصالحين)[الصفات: 100]، فقد دعا الله تعالى شأنه أن يهب له ولدا فأجابه إلى دعائه بعد حين فقال: (ع) (الحمد لله الذي وهب لي ١٠٠٠) أي أنّ هذا القول قد جاء بعد زمن آخر على ما تقدّم من الدعاء في طلب الذرية الصالحة والذي جاء في سورة الصفات.

وفي قوله: (وهب لي على الكبر) نجد أنّ إبراهيم (ع) قد بلغ من الكبر والشيخوخة مقدار كبيرا حتّى وصل من العمر هو وزوجه يستحيل بعده الانجاب والرزق بالذرية فقد بلغت امرأته سن اليأس وبلغ هو من العمر عتيا بحيث لا يستطيعان بعدها الانجاب لكن قدره الله جل وعلا لا يقف أمامها حائل ولا يحد منها ناموس طبيعي ولا تدرك كنه هذه القدرة العقول فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: (كن فيكون).

وقد اختلف العلماء والمفسرون والمتشرعة في عمر إبراهيم (ع) عندما رزقه أولاً بإسماعيل (ع) بعد أن روجه الله من هاجر فأنجبت له وكذلك في عمره حينما رزق بإسحاق(ع).

فقيل إنه لما ولد له اسماعيل كان عمره تسعاً وتسعين سنة ولما ولد له إسحاق كان عمره مئة واثنى عشرة سنة. وقال آخرون ولد له إسماعيل لأربع وستين سنة وولد إسحاق لتسعين سنة على حين يذهب أكثرهم أنه لم يولد لإبراهيم إلّا بعد مئة وسبع عشرة سنة وهي سنة ولادة إسماعيل ثم بعدها بثلاث عشرة سنة رزق بإسحاق أي بعده بلوغه سن المئة والثلاثين سنة⁽¹⁾.

¹ يُنظر: الكشاف: 2/ 593، التفسير الكبير: 19/ 113-114؛ ويُنظر: الأمل في تفسير كتاب الله

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

إذ من المسلم به أنّ عمره الشريف كان في سن يصعب معه أن يولد منه الأبناء وهو تفسير قوله: (على الكبر)؛ لأنّ المنة والهبة الإلهية للذرية في هذا السن أعظم من حيث أنّ هذا الزمان زمان وقوع سن اليأس من الولادة ثم الظفر بالحاجة في هذا الزمان يكون من أعظم النعم لتكون هذه الولادة، وفي هذه السن العالية آية ومعجزة لإبراهيم (ع)⁽¹⁾.

ثم أنّ هبة الذرية على الكبر أوقع في النفس، فالذرية امتداد والحاجة النفسية والفطرية للامتداد أوقع في نفس إبراهيم (ع) لذلك نراه يحمد الله ويطمع في عطائه ورحمته⁽²⁾.

أمّا قوله: (إنّ ربي لسميع الدعاء) فإنه تعقيب على الشكر بالدعاء لله ثانية أن يجعله مديماً للشكر، الشكر بالعبادة والطاعة والاستعانة بالله على انفاذ عزمته وقبول دعائه في طلب الذرية إذ إنّ إبراهيم كان قد دعا ربه في وقت مضى أن يهبه الذرية الصالحة التي تكون امتداداً له⁽³⁾.

ويرى بعض العلماء إنّ قوله: (سميع الدعاء) يدلُّ ظاهراً على أنّه (ع) كان مشغول القلب بسبب إسماعيل وإسحاق فكان هذا دعاء لهما بالخير والمعونة بعد موته فجاء هذا الدعاء على سبيل الرمز ولم يأت على وجه الايضاح والتصريح، ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى عالم بالمقصود سواء صرحت به أم لم تصرح⁽⁴⁾.

وهذا ما يذهب إليه محمد جواد مغنبيه في هذا القول إذ يرى أنه تضرع وتوسل بدعاء آخر وثاني جاء بعد الحمد والشكر الأول ويتضمّن هذا الدعاء طلب العون من الله لولديه إسماعيل وإسحاق؛ لأنّ إبراهيم قد تقدمت به السن ودنا أجله فأوكل أمر أهله من بعده إلى رعاية الله وعنايته⁽⁵⁾.

¹ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي

البغدادي (ت: 127هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م: 228 / 7

² يُنظر: في ظلال القرآن: 4 / 2110.

³ يُنظر: في ظلال القرآن: 4 / 2110.

⁴ يُنظر: التفسير الكبير: 19 / 114.

⁵ يُنظر: التفسير الكاشف: 4 / 453.

ويرى السيد محمود الالوسي في قوله: (السميع الدعاء) أي لمجيبه فالسمع بمعنى القبول و(سميع) جاء للمبالغة؛ أي المبالغة في التضرع والتوسل والدعاء⁽¹⁾.

النجوى السادسة

قوله تعالى: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40)) [إبراهيم: 40].

في هذه الآية القرآنية الكريمة وفي هذه المناجاة نجده قد دعا واستعمل قول (رب) لما في هذا القول من الرقة والعذوبة والخشوع العالي والكبير لله سبحانه وتعالى فهو دائم الطلب والرجاء والأمل في هذه الآيات القرآنية المتتابعة بالنجوى والتوجه لله وحده جل وعلا. كذلك في قوله (اجعني) قد كَرَّر استعمال فعل الامر (اجعني) مقترنا بياء المتكلم وهذا الفعل هو ما يخرج به للدعاء أيضاً، إذ هو يقرن الاسم (رب) الذي استعمله للدعاء مع الفعل (اجعل) والذي يخط 4رج للدعاء كذلك، وهذا الاستعمال المتكرر المتتابع يدل على فرط الخشوع والتذلل للذات الإلهية المقدسة إذ هو لا يطلب طلباً أو يريد حاجاً إلا إذا كَرَّر مع طلبه ألفاظ الخضوع والخشوع والتأدب العالي.

إذاً في قوله: (رب اجعني مقيم الصلاة) أراد بذلك ديمومة إقامة العبادات كلها ومنها الصلاة مجازاً والمواظبة عليها جميعاً⁽²⁾.

ويذهب الإمام فخر الدين الرازي أن دعاء إبراهيم في هذا النص القرآني الكريم وهو حكاية عنه يدل على أنه ترك المنهيات لا يحصل إلا من الله وإن فعل المأمورات لا يحصل كذلك إلا من الله، فنجده كان مصرّاً على أن الكل من الله لذلك قال (رب اجعني)⁽³⁾ أي أن عملية

¹ يُنظر: روح المعاني: 228 / 7.

² يُنظر: روح المعاني: 229 / 7.

³ يُنظر: التفسير الكبير: 115 / 19.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

الجعل والكينونة هي من الله حصراً فتراه يدعو ويطلب ويتدلل بأدب وخشوع لله جل وعلا.

ويرى السيد محمد حسين فضل الله في معنى هذا الدعاء بإقامة الصلاة دون سواها من العبادات الأخرى وذلك بما تمثله الصلاة من إخلاص عميق لله مصدره الإحساس الواعي بالعبودية له فكراً وشعوراً وأيضاً هي اللهفة الحارة الخاشعة الحميمة التي تنساب بكلّ خشوع المؤمن وخضوعه بين يدي الله جل وعلا⁽¹⁾.

أما في قوله (ومن ذريتي) أراد بهذا شمول دعوته لذريته أيضاً للإشعار بأنه المقتدى بهذه العبادات وذريته أتباع له. وقوله: (ومن) والتي تفيد التبعية بمعنى بعض ذريته من هو مقيم الصلاة⁽²⁾، والتقدير في هذا القول والدعاء هو متعلق ومعطوف على ضمير المتكلم الياء في قوله في بداية الآية (رب اجعلني) فيكون معنى القول هذا: (رب اجعلني واجعل من بعض ذريتي مقيم الصلاة) فحرف الجر من يفيد التبعية⁽³⁾.

ويذهب أغلب الجمهور أن هذا الدعاء يختص ببعض ذريته دون الجميع لعلمه من جهة الله سبحانه وتعالى أنّ بعضاً منهم لا يكون مقيم الصلاة كأن يكون كافراً أو مسلماً لا يصلي فيكون في ذريته من لا يقيهما⁽⁴⁾.

وأما في قوله: (ربنا وتقبل دعاء) أنّه أراد (ع) بهذا القول تقبل الدعاء به هو الطلب والرغبة بقبول الدعاء والاستجابة وبقول دعاء تقبل العبادة على حقيقتها⁽⁵⁾.

¹ يُنظر: من وحي القرآن: 120 / 13.

² يُنظر: روح المعاني: 229 / 7.

³ يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، 4: 161.

⁴ ينظر: روح المعاني: 229 / 7.

⁵ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، العلامة أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُري الكلي الأندلسي الغرناطي (ت:

741هـ)، تحقيق: علي بن حمد الصالح، منشورات دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة - ، ط5،

ونرى في استعماله قول (ربنا) في هذا الدعاء أنه قد اقرن (رب) الذي كثيراً ما استعمله في مناجاته؛ لكثرة رقة وتذلل هذا اللفظ مع ضمير الجمع (نا) دليلاً على أن الدعاء كان شاملاً له ولا بعض ذريته المؤمنة التي اتبعته وسارت على خطاه العبادية والإيمانية لذلك لم يقل ربي وتقبل دعاء.

فيما يذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله: (وتقبل دعاء) أي تقبل عبادتي وعبادة بعض ذرية الذين يقيمونها ف (دعاء) هنا جاءت بمعنى العبادة⁽¹⁾.

نجد أن هذا النص القرآني فيه الكثير من التكثيف والإيجاز والاختزان الدلالي والمعنوي ويبدو ذلك واضحاً من دعائه (ع) (اجلني مقيم الصلاة) فهو اختزل كل العبادات والاعمال. أنا العبد من قبل الله وأكد على الصلاة فقط بل جمعها بالصلاة ليدعوا بتقبلها فقط بقوله: (ربنا وتقبل دعاء).

ونرى في اختزاله للعبادات كلها وتأكيداً على الصلاة من معنى أن الصلاة هي عماد الدين وهي تختزن بل وتحمل جميع عبادات الفرد الباقية لذلك نجد أن إبراهيم (ع) قد كثف المعنى واختزله بتأكيد على الدعاء بقبول الصلاة، وهو يريد بذلك الدعاء لقبول جميع أعماله وعباداته فاختصرها بذكر الصلاة فقط.

ونخلص في القول هنا أن دعاء في هذا النص قد جاء بألفاظ متعددة منها الأسماء المجردة (رب)، ومنها المقترنة بالضمير (ربنا)، ومنها الأفعال على أنواعها (اجعل) (اجلني) (تقبل) كل هذا للتجديد في الدعاء وزيادة في التلطف وإلحاح في الرغبة والطلب وتلهفاً لقبول والاستجابة.

النجوى السابعة:

قوله تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41)) [إبراهيم: 41]

في بداية هذه الآية القرآنية الكريمة نجد فيها عوداً على النصوص القرآنية السابقة التي يبدأها في دعائه باستعمال لفظ (رب) الذي يدلُّ على الأدب الجَمِّ والعالي سواء كان مقترناً بضمير أم كان خاليّاً منه وفي هذا النص جاء اللفظ (رب) مقترناً بضمير الجمع (نا) وذلك أنّ هذا الدعاء قد جاء شاملاً وعماماً له ولوالديه وللمؤمنين.

كذلك نجده لم يكتف باستعماله الاسم (رب) المقترن بضمير الجمع (نا) ثم ليضيف له الفعل (اغفر) وهو فعل أمر خرج للدعاء ذلك زيادة في التأكيد للدعاء والتجديد به طلباً للغفران والمسامحة والعفو مثل ما فعل (ع) في النص الذي سبقه إذ استعمل في بدايته الاسم مضافاً للفعل بقوله: (رَبِّ اجْعَلْنِي) كلّ ذلك رجاءً وأملاً وتلطفاً في تلبية طلبه.

وأما قوله: (اغفر لي) فيرى البعض من المفسرين أنّ معناه هو أن تغفر لي ما كان من تفرّطي في بعض الأحيان من ذكرك والتوجه اليك والذي أعده ذنباً⁽¹⁾.

وطلب المغفرة هنا إنّما المقصود به هو الالتجاء إلى الله تعالى وقطع الطمع إلا من فضله وكرمه ورحمته⁽²⁾.

وأما دعائه بقوله: (لوالدي) نجد الكثير من العلماء والمفسرين قد اختلفوا في الذهاب لمعنى محدّد لهذا القول لطبيعة قراءة هذا اللفظ تارة أو اتخاذ معنى مغاير لدلالته تارة أخرى، فمنهم من قال: إنّ الدعاء خرج بحق والديه أي أمه وأبيه فقد كانت أمه مؤمنة فلا إشكال في

¹ يُنظر: روح المعاني: 229 / 7.

² يُنظر: التفسير الكبير: 115 / 19.

الاستغفار لها، وأما الاستغفار لأبيه فهو من باب الاعتذار عنه وأن الدعاء كان قبل ان يتبين له أنه عدو لله سبحانه وتعالى⁽¹⁾.

والمعنى على هذا القول: إنه لا يجوز له الدعاء لأبيه اذا تبين له أنه كافر.

ومنهم من قال: إن المقصود بهذا الدعاء لوالديه هو آدم وحواء (ع)⁽²⁾، في حين ذهب آخرون في هذا القول أنه يتطلع لوالديه من العرفان بالجميل بعيداً عمّا إذا كان مؤمنين او غير مؤمنين، فلا مانع من دعاء إبراهيم لوالديه على فرض أنهما هنا كافرين ذلك على أساس الإحساس بالرحمة لهما لا على أساس الشعور باستحقاقهما لذلك⁽³⁾.

اما الزمخشري فيقول أنه يجوز له أن يستغفر لأبيه وإن كان كافرين فهو من مجوزات العقل، ولا يعلم امتناع جوازه ودليل هذا القول هو دعاء إبراهيم (ع) لأبيه في سورة الممتحنة بقوله: قول إبراهيم لأبيه (لاستغفرنَّ لك وما املك لك من الله من شيء)⁽⁴⁾[الممتحنة: 4].

وهناك من يقول أن الدعاء في هذا القول مخصوص لولديه إسماعيل وإسحاق فقد قرأ هذا اللفظ لولدي بغير الألف كذلك بفتح اللام وزعموا أن هذه القراءة كانت للإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) والمقصود بها بحسب هذه القراءة والرواية عنها أنها تخصّ ولديه وهما ممّن يجوز الدعاء لهما بوصفهما أنبياء من أنبياء الله⁽⁵⁾.

¹ يُنظر: روح المعاني: 229 / 7.

² يُنظر: التفسير الكبير: 115 / 19.

³ يُنظر: من وحي القرآن: 121 / 13.

⁴ يُنظر: الكشف: 540 / 2.

⁵ يُنظر: الكشف: 54 / 2؛ وينظر: روح المعاني: 229 / 7؛ ويُنظر: البرهان في تفسير القرآن، العلامة

السيد هاشم البحراني، حققه: مجموعة من البعلماء الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات والنشر، بيروت، ط1، 1999م: 342 / 4.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجاً)

ثم أننا نجده أيضاً قد شمل المؤمنين في دعائه هذا بقوله (وللمؤمنين) وهذا ما يعكس امتداح روحيته (ع) على المؤمنين والناس كلهم فهو لا يعيش في زاوية ضيقة تتحدد بحاجاته ومصالحه الذاتية والشخصية فقط بل تمتد مناجاته ودعوته إلى الآخرين ليطلب الرحمة والمغفرة لهم من الله الغفور الرحيم⁽¹⁾.

يتبين لنا في قوله لي ولوالدي و للمؤمنين أنه لخص طلب الدعاء في هذا النص بما صرح منه وطلب في جميع مناجاته السابقة وفي النصوص والآيات الستة الماضية قد لخصها في هذا النص الأخير من مناجاته ودعائه فقد ظهر فيه الدعاء شاملاً له ولوالديه وللمؤمنين ودليله قوله (يوم يقوم الحساب) ففيه إشارة واضحة جلية إلى أن جميع ما مرَّ به (ع) وبأهله وذريته وولده في جميع محطات حياته وما دعا فيها منذ بداياتها إلى هذه المرحلة من عمره الشريف سيكون ماثلاً أمام الله سبحانه وتعالى يوم القيامة لذلك نراه يشدد الطلب والرجاء في الدعاء لطلب الغفران والمسامحة.

وبهذه النجوى يختم إبراهيم (ع) دعائه الخاشع الخاضع لله جل وعلا بطلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين جميعاً.

¹ يُنظر: البرهان في تفسير القرآن: "4 / 342.

- أدب التخاطب، الشيخ أبو عبد الله مصطفى العدوي، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1999م.
- أصول الكافي، ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ن: 328هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2005م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، كمال الملك للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، ط1، 2004م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2005م.
- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت.
- البرهان في تفسير القرآن، العلامة السيد هاشم البحراني، حققه: مجموعة من العلماء الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات والنشر، بيروت، ط1، 1999م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1971م.
- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: 460هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2013م.
- التحرير والتنوير، الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، د.ت.
- التسهيل لعلوم التنزيل، العلامة أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبلي الأندلسي الغرناطي (ت: 741هـ)، تحقيق: علي بن حمد الصالحي، منشورات دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة - ، ط5، 2023م.
- التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبدالله محمد الجبوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط2، 2007م.
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، للإمام عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي المعروف بابن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط3، 1444هـ.
- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط3، 2005م.

المناجاة في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجًا)

- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الإمام فخر الدين الرازي (ت: 604هـ)، تحقيق: عماد زكي البارودي، منشورات المكتبة التوقيفية، القاهرة، د.ط، د.ت.
- التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1986م.
- دراسات فنية في القرآن الكريم، د. أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2006م.
- الدعاء عند أهل البيت (ع)، الشيخ محمّد مهدي الأصفى، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم المقدّسة، ط3، 1426هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت: 127هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.
- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، علي خان المدني الشيرازي، تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، ط4، 1415هـ.
- السمات الدلالية في أدعية نبي الله إبراهيم الخليل (ع)، الشيخ علي العبادي، بحث منشور في الموقع الشامل للحوزة العلمية، 4 مايو، 2019م.
- سيدنا إبراهيم الخليل (ع) قراءة جديدة، عبد الرحمن غنيم، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 2016م.
- الصورة والبناء الشعري، الدكتور محمد حسن عبدالله، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1981م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط34، 2004م.
- القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء في تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، أعداد حسين فعّال، دار الرسول الأكرم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت 538هـ)، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م.
- الدوافع النفسية، مصطفى فهمي، مكتبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1987م.
- لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997م.

- المع/ أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، (ت: 378هـ)، ضبطه وصححه: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 2016م.
- مصطلحات قرآنية، الدكتور صالح عزيمة، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010م.
- معاني القرآن؛ أبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ) قدم له وعلق عليه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.
- معجم المصطلحات الأدبية، بول آرون -دينيس سانجاك - آلان فيالا، ارجمة: د محمد محمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012م.
- معجم مصطلحات الأدب، د. محمود علي مكي، الأستاذ فاروقشوشة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، 2007م.
- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، دار المرئضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2004م.
- من وحي القرآن: السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2007م.
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، د.ط، د.ت.
- نفحات القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، قم المقدسة، ط1، 2005م.
- نور الثقلين/ الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001م.
- وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، 1404هـ.